

المحاضرة الرابعة

الخطبة رقم ١٢٩

ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكايل والموازن

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءٌ مُؤَجَّلُونَ وَهَدِيُونَ
مُقْتَضُونَ أَجَلٌ مَنقُومٌ وَكَمَلٌ مَحْفُوفٌ قَرِيبٌ دَائِبٌ مُخَيِّعٌ وَدَبٌّ
كَادِحٌ خَاسِرٌ قَدْ أَهْبَتُمْ فِي زَمَنِ لَا يَزِدُ الْخَيْرَ فِيهِ إِلَّا إِدْبَارًا
وَالشَّرَّ إِلَّا اقْتِبَالَاً وَالشَّيْطَانَ فِي كَهَالِكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا فَهَذَا أَوَانٌ
قَوِيَةٌ عُدَّتْهُ وَكَمَّتْ مَكِيدَتُهُ وَأَمَكَّتْ فَرِيَسَتُهُ أَهْرَبَ بِطَرْفِكَ
حَيْثُ سِتَّتْ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تَنْظُرُ الْإَفْقِيرَ يَكَابِدُ فَقْرًا أَوْ
خَنِيًّا بِذَلِكَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ
وَقْرًا أَوْ مُتَمَرِّنًا كَانَ بِأُذُنِهِ عِنْدَ سَمْعِ الْفَوَاحِشِ وَقْرًا .

معاني المفردات:

١- أثوياء: جمع ثوي وهو الضيف

٢- مؤجلون: مؤخرون

٣- مدينون: مقرضون، من الدين وهو القرض

٤- مقتضون: جمع مقتضى أي مطالب

٥- الدائب: المجد الدائم على العمل

٦- العدة: جمعها عدد الاستعداد، ما أعد لحوادث الدهر من مال وسلاح

٧- عمت: شمات

٨- المكيدة: الحيلة

٩- أمكنت: سهلت

١٠- الفريسة: ما يصطاده الأسد ونحوه

١١- يكابد: من الكبد وهي المشقة والشدة والصعوبة

١٢- الوفير: المال الكثير

شرح النص

(عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءٌ) أي يا عباد الله إنكم بمنزلة الضيوف، ف(أثوياء) جمع ثَوٍّ وهو الضيف، وقد شبه الإمام (عليه السلام) حال أهل الدنيا بالضيف الذي يُستضاف مدةً محدودةً ثم يُغادر، فلا يرى دار المضيف موطناً دائماً ولا محطةً أبديةً والمعنى: إنكم في الدنيا كحال الضيف، وآمالكم كآماله؛ فكما لا يبلغ الضيف رغبته لقصر مدة مقامه، كذلك أنتم لا تدركون آمالكم في هذه الحياة، لأنكم لا تمكثون فيها طويلاً، بل ترحلون عنها كما يرحل الضيوف عن دور مضيفيهم.

(مُؤَجَّلُونَ) لكم أجلٌ ومدة محدودة **(وَمَدِينُونَ):** مطلوبون للموت

(مُقْتَضُونَ) إقتضاه بمعنى طلبه، أي يطلبكم الموت، فلا بقاء لكم حتى تدركوا آمالكم، فإنكم مطالبون بما عليكم من حقوق وواجبات، فما أعطيتم من الدنيا مطالبون به ومسؤولون عنه.

(أَجَلٌ مَنقُوصٌ) ينقص كل يوم جزء من أعماركم

(وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ) يُحفظ كل ما عملتموه لتجزون به في الآخرة، وهذه دعوة إلى عدم التسويف، والإخلاص في العمل والإجادة فيه

(قُرْبٌ دَائِبٌ مُضَيِّعٌ) دائب في العمل، أي مستمر فيه ليله ونهاره، مضيع أوقاته، حيث إنه يعمل فيما لا ينفعه في الآخرة.

(وَرَبٌّ كَادِحٌ خَاسِرٌ) الكادح: هو الذي أتعب نفسه وأجهداها، خاسر لأنه خسر عمره من غير أن يحصل على ما ينفعه ويبقى له في الآخرة. وهاتان الجملتان وارتدان لتحريض الإنسان على تصحيح أعماله، وجعلها على نحوٍ ينتفع به يوم القيامة

(قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَانٍ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً) يحكي الإمام عليه السلام واقع زمانه الذي يعيش فيه، بأنه زمانٌ نكدٌ يختفي فيه الخير أو يتراجع عن مواقع الحياة وفي نفوس الأحياء، فمساعدة الناس وإعانتهم ونشر الفضيلة كلها اختفت، وحلّ محلّها الانحلال والفوضى وهناك المحرمات، وبعبارة أخرى: إنّ الناس قد توجهوا إلى الدنيا، حيث اعتادوا على ذلك أيام السلاطين.

(وَالشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالاً) أي أن الخير إذا انزوى أو ارتفع، لا بد للشّر أن يتمدد وينتشر.

(وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَكَ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا) أنه زمانٌ سوء اشتدّ فيه طمع الشيطان في إضلال الناس ودفعهم إلى موارد الهلاك، إذ إنّ الشيطان يزداد قوّة وتأثيراً حين يقلّ الخير ويكثر الشر، فيجد إلى القلوب سبيلاً، ويقوى نفوذه في بيئةٍ خاليةٍ من التقى والورع.

(فَهَذَا أَوْ أَنَّ قُوِيَّتْ عَدْتُهُ وَعَمَّتْ مَكِيدَتَهُ) في هذا الوقت قويت عدة الشيطان وانتشرت مظاهر الانحلال والفتن والتفرق والاختلاف وتفرق المسلمين، حيث استولى معاوية وتسلم سدة الحكم.

(وَأَمَكَّنَتْ فَرِيستَهُ) أي صارت فريسته في متناول يده وتمكّن من السيطرة عليها، والمقصود بالفريسة هنا أهل الباطل والآثام؛ إذ يصبحون صيداً سهلاً للشيطان، يستولي عليهم بإغوائه، ويستدرجهم إلى ما يفضي بهم إلى النار ويبعدهم عن رحمة الله سبحانه.

(اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ): انظر إلى الناس، وضع يدك على أي واحد منهم فإنه لا يخلو من أربعة وهم:

(فَهَلْ تُنْظَرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا) يكابد: بمعنى يلاقي مصاعبه ومصائبه، أي إنك لا تجد إلا فقيراً يعيش التعب والمشقات يبحث عن لقمة يسد بها رمقه ويكفي بها عائلته، قد أضرب به الإملاق، فهو لا يحصل على قوته إلا بالعذاب والهوان.

(أَوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) المراد من تبديل النعمة عدم صرفها في المحل اللائق بها، وهذه إشارة إلى قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾

(أَوْ بِخِيَالًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بَحَقَّ اللَّهِ وَفْرًا) أي موجباً لتوفير ماله وتكثيره، وهذا غير المستبدل لنعمة الله كفراً، فإن ذلك يصرفها في غير مصارفها، وهذا يجمعها ولا يصرفها أصلاً.

وَذِي جَرِيصٍ تَرَاهُ يَلْمُ وَفْرًا

لِوَارِثِهِ وَيَدْفَعُ عَنِ جَمَاهُ

كَكَلْبِ الصَّيِّدِ يُمَسِّكُ وَهُوَ طَوِي

فَرِيستَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ

(أَوْ مُتَمَرِّدًا كَأَنَّ بَأْذَنَهُ عَنِ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَفْرًا) وقرأ بمعنى صمماً، فلا يرعوي عن غيره كأنه لا يسمع المواعظ، ذلك المتمرد على أحكام الله والمخالف أوامره، فما أقسى قلبه.